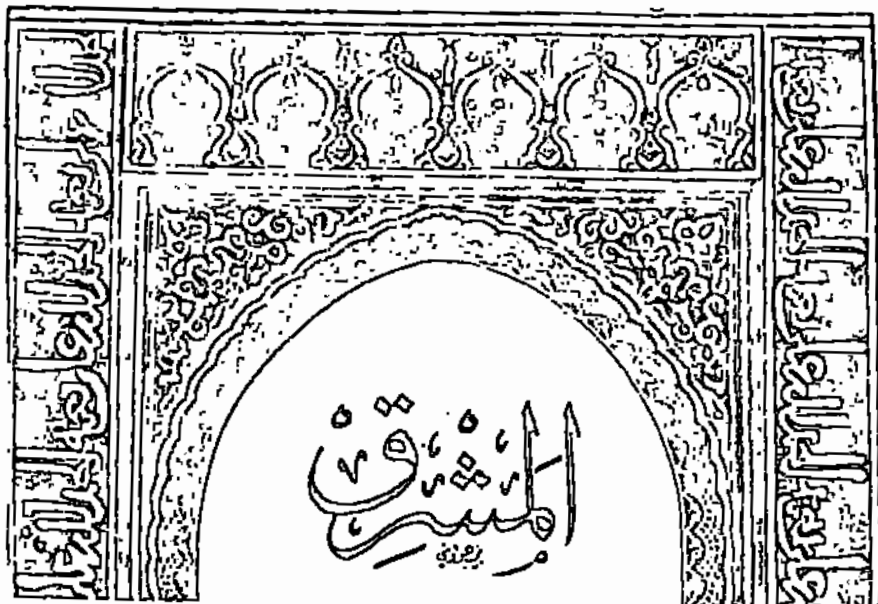




آذار ١٩٣٩

المنطق الحديث

محمّد انقاري فلسفي

للاب ثرل ايلا اليسوعي

يزعم البعض ان النهضة العلمية الحاضرة في بلاد الناطقين بالضاد تقتضي ادخال الفاظ غريبة في اللغة ، لأنّ القديمة منها لا تقوى دائماً على التعبير عن الافكار الجديدة والاكتشافات الحديثة .

وقد يصدق الزعم فيما يتعلق بالعلوم الطبيعية . امّا الفلسفة فتخالها بغنى عن الاعجبي الدخيل ، اللهم اذا ما ضربنا صفحاً عن بعض فروعها كالعلم النفساني الاختباري والاجتماعي الخ .

ومما يؤيد بنوع حتمي رأينا هذا كتاب « علم المنطق الحديث »^(١) لمؤلفه

(١) علم المنطق الحديث - الجزء الاول - مطبعة دار الكتب المصرية ، ومكتبة أمين متدية ، بالقاهرة .

السيد محمد حسين عبد الرازق ، استاذ التربية والمنطق بمدرسة المعلمين العليا في القاهرة .

طالعنا الجزء الاول من هذا الكتاب فالتيناه بقي بما وعد به الاستاذ الناضل في العنوان والمقدمة . فانه قد ضم فيه الى « المنطق الاستدلالي » القديم (Logique déductive) القسم الحديث المعروف بالمنطق الاستنباطي (Logique inductive) ، الذي له شأنه العظيم في الاكتشافات العصرية . وهناك ايضاً « موضوعات جديدة ذات اتصال بالمنطق القديم ٠٠٠ لم يكتب فيها منطقة العرب » منها مثلاً الجدول الوارد في ص ٨٠ لبيان اقسام العلوم .

ولم تخل جِدَّةُ المواضيع دون عربية القالب . بل من مزايَا المؤلف الوضوح والفصاحة في الالفاظ ، والمثانة في التركيب ، والسهولة في الاسلوب ، اللهم فيما يَلْب .

وحبذا لو ضامى القالب مضمونه طيبةً بجميع اطرافه . فان المؤلف اعزّه الله ، قد اقتبس كثيراً من الفلاسفة المعصرين . ولا لوم عليه بهذا ، لولا ما حدا به تعلقه المفرط ببعض المذاهب العصرية (modernistes) الى اذليل خطرة ، والى الخط من شأن الاقدمين ولاسيما مفكري القرون الوسطى ، كأن روبر باكون ، والمؤلف من المعجبين به ، ليس منها ؛ او كأنها لم تنجب نوايع من امثال توما الاكوينى ، ويونانورتورا ، وسكوت ، وغيرهم من لا يزال جهاذة الفلاسفة حتى في عصرنا هذا يستنيرون بنورهم ، ولا ينكر فضلهم الا من اعى الغرض بصيرته .

فحب هو لا . فخرأ انهم ، وإلم يُبدزوا في ميدان العلوم الطبيعية ألا على قدر ما بلغت اليه معرفتهم من الاكتشافات في عصرهم ، فقد احتفظوا « بالحكمة الخالدة » (Philosophia perennis) وحفظوها للنخلف ، بل دعوها بحجج راضنة جازمة ووسعوا نطاق نتائجها ولاسيما في علم ما وراء الطبيعة .

وما الحكمة الخالدة هذه ألا مجموعة حقائق جوهرية أكيدة صريحة ، منها مبدأ التعليل (principe de causalité) وروحانية النفس وخلودها ، ووجود الآلهة القائم بذاته مميّزاً عن مخلوقاته ، وحقيقة الثواب والعقاب في الآخرة . وهي الفلسفة التي طالما اعتصمت بها العقول السليمة السامية وما حاذ عنها أحدٌ إلا بشدّة عن محجة الهواب ، بل سرّقت من الدين ، اذ لا قوام بدونها لدينٍ أياً كان .

بل الطريقة الاستنباطية عينا ، التي هي من أهم اسباب إعجاب السيد محمد حسين بالمحدثين ، هل كان لها قوام في نظر العقل السليم ، لو لم يتعقّق في درس اصولها الفلسفية الذين اقتفوا آثار أرسطو والأكوييني ، فملّوها وابتأوا أن مرجعها النهائي الى القياس الاستدلالي ؟^١

فيا ليت صاحب « المنطق الحديث » اقتبس من معلّمي القرون الوسطى قيراطاً من اربعة وعشرين ممّا اخذ عن العصريين . فلو فعل لليم كتابه من اضاليل عديدة ، تقتصر ، خشيةً من البحث المُملّ ، على ذكر ما يلي منها :

١ في ص ١٢ ان حاسة البصر « مهيأةٌ لادراك المبصرات كالنور والظلمة واجسام الاشياء واشكالها واوضاعها وابعادها وحركتها وسكونها »

والصحيح ان امتداد الاجسام والشكل والوضع والبعد والحركة انما هي محسوسات مشتركة بين اللمس والبصر فلا يتسنى لهذا بدون ذاك ان يبلغ اليها الا بعد ما يدعوه الفلاسفة حتى العصريون تربية الحواس (éducation des sens) بل بعد هذه التربية ذاتها لا يمكن العقل دائماً ان يبني حكماً شافياً ، في ماهية كذا محسوسات ، على مدلولات البصر وحده .

أما الظلمة فلا ترى كيف يُخصّصها جناب الاستاذ بين المبصرات وهي تقيض النور بل هي لا شيء ، وكيف يؤثر الدم في الحاسة ؟

٢ وقال ايضاً (ص ٢٩) « ان الانسان من بين سائر الموجودات هو الذي في قدرته وحده ، بفضل قوّته الفكرية ، ان يعلم كل ما يمكن علمه بهذه الموجودات . »

فجاءت لفظة « وحده » تنفي وجود القوّة الفكرية الالهية بل تنقض ما

سبق المؤلف وصرح به ملياً في الصفحة ذاتها اذ قال : « كل شيء لا يتملق به العلم الانساني او الالهي لا يكون موجوداً » ، ما لم يؤله الانسان بان يُجعل شيئاً واحداً هو الله حسب مذهب الحلول المقوت .

ومب ان كلمة « الموجودات » في الفقرة الاولى حُجِر منها ، على غير ما هو ظاهر بالنسبة ، في الموجودات المخلوقة ، فباي حق يُنفى اذ ذاك وجود القوة الفكرية الملائكية ؟ وان كان الفيلسوف لا يتوقف ، بعقله المجرد وبمزل عن الوحي ، الى معرفة الارواح المحضة ، فهل يُسوغ له ذلك انكار وجودها بتاتاً ، وان ضناً .

٣ قد حدد المؤلف العلة المادية بقوله : هي ما « لا يتحقق المعلول بدونه » كذا بدون ما قيد . افلا تكون ، بناء على هذا الحد ، كل المعلولات مادية على الاطلاق فيتعذر على الخالق ان يُخرج من العدم روحاً مستقلة عن المادة في كيانها ؟ واذا ذاك افلا يكون صاحب الحد المذكور جنح الى مذهب الماديين ؟ أم يزعم ان خلق الكائنات يقتضي علة مادية سابقة مما يؤدي به الى مذهب القائلين بازلية المادة ؟

ثمّ علام يُهيل تماماً ذكر العلة الصورية في تقسيم العلل فيحصرها في ثلاث فقط وهي الفاعلية والمادية والثانية . فهل نسي انه حدد العلة الفاعلية قائلاً : « هي ما به تكون صورة المعلول » وهل تختلف صورة المعلول عن علة الصورية ؟

٤ في الصفحة ٤٨ حدّث لاسمي الذات والمعنى يؤولان الى نتائج قاذحة . قال : « اسم الذات (le terme concret) هو كل اسم يمكن ادراك مفهومه بأحدى الحواس . . . واسم المعنى (le terme abstrait) هو كل اسم يدل على مفهوم لا يمكن ادراكه بأحدى الحواس »

تري هل الله والنفس البشرية من مدركات الحواس ام العقل ؟ فان كان الاول ، فقد افضى بنا الامر الى كفر الماديين . وان كان الثاني ، اضحى الله والنفس اسمي معنى وبذا غدونا على قاب قوسين من مذهب الحلول ، لأن الله عندئذ يكون بمنزلة صورة حلت في ما يدل عليه اسم معنى كما يحل البياض

مثلاً في الأبيض والشهامة في الشهم . تعالى الله عن ان يكون صورةً مجردةً .
نعم انَّ عقلنا الضيف لا يستطيع الى ادراكه سيلاً ، ألا بتجريد الفكر الذي
يُمثِّلُه من القرائن المحسوسة ، التي تصحب صورته في المخيلة . بيد انه عز وجل ،
في حد ذاته ، جوهر معيَّن قائم بنفسه . وكذا النفس البشرية ، وسائر
الارواح .

° وئماً لا يترك ادنى مجال للشك في انجاز صاحب « المنطق الحديث » الى
مزاем الماديين أنه وضع الفرق الجوهرية بين الانسان والحيوان في ميزة مادية
محضة . قال (ص ١٧٦) : « انَّ قابلية التعلم مبنية على صفة لازمة
لنوع واحد من انواع الحيوان ، وهو الانسان ، بها تتحق ذاتية . وهذه الصفة
هي زيادة نسبة منجّه الى جسمه على نسبة منخ اي حيوان آخر الى جسمه »
ولمّا العقل الروحي وحرية الاختيار ، زينة الانسان وشرفه وما يُعطي شأنه
فوق كل المخلوقات المحسوسة على وجه البسيطة ، فكأنني باليد محمّد حسين
عبد الرازق نبذهما تبذ النواة ما بين خرافات القرون الوسطى .

أوليس من غرائب الخرافات ان يُحصّر في زيادة نسبة المنخ على الجسم ،
قوام القوة البشرية الفكرية ، التي اكتشفت مصـلـ التيفونيد والجدرى ، ومكنت
الناس من محادثة بعضهم بعضاً على مسافة اميال كما لو كانوا في مكان واحد ؟
بل حينما ما يدعوه المحدثون التطرفون خرافات القرون الوسطى ! وحينما حكمتها
الحالدة التي تقى العقل من الضلال !

